الإمام الخميني (قده)

جدليّة المعرفة الزمنيّة والحضوريّة في فكره وتجربته

جميع حقوق الطبع محفوظة ©
دار المعارف الحكميّة
الطبعة ١
[٢٠١٤ م. - ١٤٣٥ ه.]
ISBN: 978-614-440-008-1

اسم الكتاب : **الإمـــام الخـــمـــيـــنـــي** (قده)
جدليّة المعرفة الزمنيّة والحضوريّة في فكره وتجربته

اسم الكاتب : **هادي قبيسي**

الناشر : **دار المعارف الحكميّة**

عدد الصفحات : **٢٧٢**

القياس : **٢٤ / ١٧**

الإمام الخميني (قده)

جدليّة المعرفة الزمنيّة والحضوريّة في فكره وتجربته

مقاربة عبر مناهجيّة

هادي قبيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أخرج الإمام الفكر الإسلاميّ من ساحة العقل إلى ساحة الفعل، ومن العرفان والأخلاق إلى التاريخ والتجربة، ومن الاجتهاد والفقه إلى الثورة وبناء الدولة، وبذلك طرح أمامنا مجموعةً كبيرةً من القضايا والإشكاليّات التي لم تُطرح في الفكر الإسلاميّ، والشيعيّ خصوصًا، قبل ثورته، التي أحدثت زلزالًا فكريًّا لا يقلّ عن تأثيرها السياسيّ والتاريخيّ، على أن إطلاق التجربة الإسلاميّة الحديثة لا يزال ينتج، بتفاعله الذاتيّ، قضايا مُتولِّدة وحادثة.

تجربة الإمام الخميني (قدّس سرّه) على حدٍّ أقلّ، تختزن الكثير ممّا لم نعمل على استكشافه. تجربةٌ تعددت أبعادها بشكل كبيرٍ، لكنّ صاحبها تعرّض في نصوصه وخطابه إلى توضيح جزءٍ من فلسفتها، فيما ترك أجزاءً أخرى متناثرةً في طيّات الكلام وثنايا الصفحات. القضيّة التي نتعرض لها هنا، هي جمعٌ لبعض تلك النثرات، وقراءتها سعيًا للخروج بما يعطي تفسيرًا لواحد من أبعاد تلك التجربة المتألّقة، ألا وهو البُعد المعرفيّ.

إنّ خروج الإمام إلى الساحة السياسيّة حاملًا على كاهله مسؤوليّةً تاريخيّةً تجاه الإسلام والتشيّع وإيران، أدخله إلى نطاق خوضٍ فكريٍّ وعقليٍّ طارئٍ نسبيًّا على العقل الدينيّ الشيعيّ، الذي كرّس تاريخه في مجال المعرفة الدينيّة حصرًا إلى حدٍّ بعيد، موفّرًا مقدّماتها النظريّة، وموجدًا مناخًا علميًّا يوجّه العقل نحو حصر الاهتمام، وبناء ملكات تفكير خاصّة بمناهج هذه المعرفة، بدءًا بالمنطق الأرسطي، إلى العقائديّات، والأخلاق، والفقه، والأصول، والفلسفة، والعرفان وغير ذلك. ودخل الإمام إلى ساحة تحتاج عقلًا تجريبيًّا مختلفًا في اهتمامه ومنهجه وإشكاليّاته عن عقل المعرفة الدينيّة. واعتبر أنّ هذا الخوض الجديد من أوجب الواجبات، موضحًا أنّ العمل في مواجهة الطاغوت في الدنيا هو صنو التوحيد الذي يُبنى على الجزء الأوّل من **لا إله إلا الله**، فرفض الطاغوت وَكلّ ألوهيّة لغير الله تعالى، هو مقدّمة التوحيد المتمثّل في الجزء الثاني **إلا الله**.

تهـدف المعرفـة الدينيّـة فـي المسـتوى العقائـديّ والفلسـفيّ إلـى معرفـة الخالـق، أمّـا فـي الفقـه والأصـول فتهـدف إلـى معرفـة الشـريعة الإلهيّـة وفهمهـا. إنّنـا بصـدد تلـك المُهتمّـة بمعرفـة اللـه، أمّـا الجـزء الآخـر المتعلّـق بالشـريعة وبالنـصّ الشـرعيّ، وكيفيّـة اسـتنباط الحكـم، فهـو مجـالٌ عقلـيٌّ بحـت، وليـس لنـا أن نقارنـه كمكـوّن مميّـز للمعرفـة الدينيّـة بـإزاء المعرفـة الزمنيّـة، بـل إنّ نقطـة الافتـراق هـي المعرفـة العقائديّـة والروحيّـة السـماويّة فـي مقابـل المعرفـة الأرضيّـة الماديّـة.

المعرفـة الزمنيّـة التجريبيّـة ليسـت محـدّدة الموضـوع، لا فيمـا يتعلّـق بالأبعـاد ولا بالمسـتويات. فالموضوعـات غيـر محصـورة، وغيـر ثابتـة دومًـا، وقـد تتغيّـر أو تنتفـي كلّيًّـا، ناهيـك عـن اختـلاف وتغيّـر مراتـب المعرفـة بهـا، وهـي تتعامـل مـع الممكنـات، وليـس موضوعهـا واجـب للوجـود. فالمعرفـة الزمنيّـة، كمـا نلحـظ، ضعيفـة نتيجـة محدوديّـة الحـواس، وضيـق نطـاق إشـراف الإنسـان مكانيًّـا وزمانيًّـا، وهـي غيـر تجاوزيّـة، فتبقـى منحصـرةً فـي الإطـار المـاديّ. ويصعـب فـي السـاحة التجريبيّـة ادّعـاء المعرفـة بموضـوع مـا، لأنّ الجهـل ونتائجـه فيهـا واضحَيـن، ويسـهل كشـفهما للـذّات وللآخريـن، كمـا دلّـتً علـى ذلـك آلاف التجـارب العلميّـة والنظريّـات فـي العلـوم الدنيويّـة كلّهـا من دون اسـتثناء. وهـي مـن ناحيـةٍ أخـرى، مثـل المعرفـة الدينيّـة، تحمـل بـذور النقـص ولكـن للموضـوع أيضًـا، مضافًـا إلـى المعرفـة بمتعلّقاتـه، فهـي نسـبيّة وغيـر مسـتقرّة فـي منهجهـا وموضوعهـا وتفاصيلهـا، ولـذا هـي تفاعليّـة متواضعـة، تدفـع إلـى النشـاط الذهنـيّ، وهـي أيضًـا معرفـة اجتماعيّـة، بعكـس معرفـة اللـه الفرديّـة، فيمكـن البحـث فيهـا بشـكل جماعـيٍّ، وكذلـك الإدراك أيضًـا، أمّـا المعرفـة الدينيّـة، فمحلّهـا قلـب الإنسـان المفـرد.

الإشكاليّة

الإمـام الخمينـي صاحـب تجربـة ذات أسـبقيّة فـي كلّا المعرفتَيـن: عـارفٌ كامـلٌ علـى المسـتوى الروحـيّ، ومفكّـرٌ رفيـع المسـتوى علـى صعيـد بنـاء تجربـة سياسـيّة وثوريّـة وشـاملة لكافّـة أبعـاد المجتمـع، فكيـف رسـم خطـوط العلاقـة بيـن ضِفّتَـي بحـر المعرفـة والوجـود؟

تتمحـور إشـكاليّتنا إذن حـول علاقـة المعرفتَيـن الزمنيّـة والحضوريّـة فـي تأسيسـاتها الفلسـفيّة والفكريّـة، وتطبيقاتهـا المنهجيّـة والعمليّـة، هـل هـي علاقـة تناقـض أم انسـجام وتكامـل؟ وكيـف تنسـجم المعرفـة الزمنيّـة، الموظّفـة فـي بنـاء القـوّة وعمـارة الأرض، مـع المعرفـة الحضوريّـة الهادفـة إلـى إدراك الفقـر، والتعلّـق بواجـب الوجـود والوصـول إلـى عـزّ الربوبيّـة مـن خـلال ذلّ العبوديّـة؟

علام تنطوي حالة التفاعل، في نطاق العقل والنفس، بين عالم المعرفة الحضوريّة وعالم المعرفة الزمنيّة التجريبيّة؟ وتبعًا لذلك، ما البنية الداخليّة المنطقيّة والمعرفيّة لهذا التفاعل؟ وما تأثير كلّ مستوى معرفيّ على الآخر؟ هل يشكّل الامتزاج حاجةً معرفيّةً ضروريّةً أم أنها عرضيّة جانبيّة؟ وما مفاعيلها ونتائجها؟ كيف تتأثّر المعرفة الروحيّة بالانشغال العقليّ الزمنيّ التجريبيّ؟ وكيف حدّد الإمام الخميني موقع كلّ من المعرفتَين بالنسبة إلى بعضهما البعض؟ وكيف نفهم نحن فلسفة هذا التموضع؟

الادّعاء

اسـتفاد الإمـام مـن العقـل الدُّنيـوي التجريبـيّ فـي تصفيـة العقـل الدينـيّ والروحـيّ علـى أسـاس أنّ الدنيـا مزرعـة الآخـرة، هـذه المقولـة الرئيسـة لهـذه الصفحـات، وبكلمـات أخـرى: كان طريـق الجهـاد الأرضـيّ معبـرًا للتكامـل علـى طريـق العرفـان السـماويّ. ولـم تكـن رؤيـا الإمـام الفلسـفيّة تؤكّـد علـى عـدم جـواز تـرك الجهـاد فـي الدنيـا، بـل كان يعتبـر ذلـك الجهـاد، مفتاحًـا معرفيًّـا فـي سـاحة الملكـوت. واعتبـر الإمـام أنّ المتصـوّف المنعـزل فـي

صومعته «معتكف مرآتيّ»، لا يصل إلى مدارج الكمال الملكوتيّة الحقيقيّة، وقال في أحد خطاباته: «أيّها العارف الذي تعتبر أنّ الله هو المؤثّر الوحيد في الكون، لماذا تخاف من الطاغوت»، فعلى المستوى العمليّ، اعتبر أنّ تطبيق العمل وتصديقه لما في القلب هو حقيقة الإيمان، أمّا على المستوى المعرفيّ، فقد شكّل الإمام مدرسةً خاصّةً. إنّه من القلّة القليلة الذين قدّموا أنفسهم تلامذةً، وهم في أعلى مراتب المعرفة في النصوص والكلمات. ولم يدّعِ اكتمال معرفته العرفانية، ولا حتّى مدح مستواها؛ إذ يقول لزوجة ابنه التي طلبت منه أن يكتب لها رسالةً في العرفان: «إنّك تطلبين عرش سليمان من نملة»، وهو من القلّة أيضًا الذين لم ينتقدوا صاحب الرأي فحسب، بل الرأيّ عينه، لأنّ في رؤيته القِيَميَّة والفلسفيّة، لم يعتبر الإنسان مؤهّلًا للوصول إلى كمال المعرفة، كي يصبح متّهمًا عند نقصها. وكان عدم ادّعاء المعرفة وإعلان العجز على مستوى المعرفة الدينيّة، نتيجة تجربة أرضيّة تقول إنّه علينا أداء التكليف وما علينا بالنتيجة، فما «النصر إلّا من عند الله» حصرًا، لأنّه عندما تكون النتائج صعبة الوصول في عالم الواقع المضطرب والمتغيّر باستمرارٍ، يصبح أداء التكليف علامةً على واقعيّة التوكّل. وعندما عاد من نوفل لوشاتو كان نائمًا لأنّه وصل إلى مرحلةٍ لم يعد يطلب فيها تحقّق النتائج، بل يحصر السعي والتطلّع نحو أداء التكليف. إنّه دومًا في محضر الله.

دمج الإمام في تواضعه وعبوديّته بين مستويَي المعرفة فقال: «لم أصلِّ صلاةً واحدةً لله، ويا ليتني واحد من أفراد الحرس». وقال للسيّد الحكيم في بدايات الثورة: «سِرْ ونحن خلفك» وما إلى ذلك. إنّ هذا الدمج الذي صهرته التضحيات، والعذابات، والمنافي، والانتصارات، وصقلته الشجاعة الروحيّة والمعرفيّة، هو الذي أعاد الإسلام إلى معالجة مشكلات العصر على مستوى بناء التجربة الزمنيّة في سياق إقامة الدولة الإسلاميّة.

وإنّ عقل الإمام التجريبيّ والواقعيّ المُلاحظ لضيق نطاق المعرفة الإنسانيّة الأرضيّة هو العقل والقلب نفسهما الملاحظَين في العجز عن إكمال معرفة الله. وهذا العقل المُتوثّب هو أيضًا ذلك الذي كان مستعدًّا أن يتابع كلّ هذه المهامّ الهائلة التي حملها على كتفَيه، مدفوعًا بدفقٍ روحيٍّ مخلصٍ، منذ الثورة إلى الانتصار، وأوليّات بناء الدولة، والحرب، وإدارة المجتمع الإسلاميّ الوليد، إضافةً إلى تعدّد الأبعاد المعرفيّة

والثقافيّة والوضعيّة والدينيّة التي كان يحملها.

ترتقي المعرفة الدينيّة بالإنسان عن واقعه، لتضعه في سياقٍ إلهيٍّ عن طريق العبوديّة، أمام المعرفة الزمنيّة، التي تُذكّره دومًا بمحدوديّته كإنسانٍ فرد أمام البشريّة، والمجتمع، والكون، والله. واتّخذ هذا التجاذب بين الموجب والسالب شكلا محُتدمًا في تجربة الإمام، وهو معيار اتّزان السير إلى الله، والحامي من ضياع الإنسان في الاعتكاف المرآتيّ أو العُجُب أو الإدّعاء وامتداح النفس.

وتكمن الوجهة الأخرى لهذه الرؤيا في عدم الاعتماد على قدرة العقل الدُّنيويّ التجريبيّ، وكذلك الابتكاريّ التركيبيّ في سبيل تحقيق الأهداف، بل في الانصّراف دومًا إلى المحضر الإلهيّ، والاتّكال على الخالق القادر، في حال القدرة أو الضعف على حدٍّ سواء على المستوى الدنيويّ. فالاكتفاء بساحة التجريب وعقل التجريب بدون عقد النيّة الخالصة، والمنزهة عن غاية اكتساب القوة، وبدون التوكّل والاعتماد على الخالق، وبدون عقل التجريب، والأدوات الماديّة، والمناهج المعرفيّة، ووسائل السيطرة، وغير ذلك. يشكل هذا كلّه، المدخل لخسران الآخرة، كما يمكن أن يكون سببًا لعدم التوفيق والخسران في الدنيا.

يمكننا البحث عن نظريّة معرفيّة خاصّة عند الإمام، في مجال المعرفة الزمنيّة وموقعها في المنظومة المعرفيّة. فالعناصر والقرائن حاضرة، والمنطق متناسب ومنسجم، ولم نعثر على كلام للإمام سوى في **كتاب جنود العقل والجهل**، في حديث عن فقه المنازل، والمدن، وسياسة الدولة، وضرورة كونه مدخلًا في المعرفة الإلهيّة الحقيقيّة. ولكن يمكننا الخروج برؤيا معرفيّة مستندة إلى تجربة الإمام، ولو لم يطرحها الإمام بشكل نظريٍّ منظّمٍ، لكنّها انعكست في خطابه ونصّه وفعله الذي يبيّن رؤيته وتفاعله مع تجربته. ويمكن الاستفادة منها، كواحدة من خلاصات تجربة الإمام، في مقاربة قضايا نظريّة وأخلاقية وتطبيقيّة مختلفة. وقد أشار الإمام إلى واحدة منها، وهي العلاقة بين الحوزة والجامعة.

النطاق العلميّ

يتناول البحث الذي نحن في صدده، قضيّة جديدةً في تطبيقات نظريّة المعرفة، وقد اعتمدنا في هذه القراءة الاستكشافيّة، على تجربة الإمام المرجعيّة في هذا المجال، على المستويَين الفكريّ والعمليّ، لنخلُص إلى محدّدات ورؤيا عامّة للعلاقات المعرفيّة.

نشأ حجم البحث وتعقيده من عناصر شتّى، منها تعدّد أبعاده العلميّة، واتّساع تجربة الإمام في الأبعاد والزمن، وحداثة تجربته وفرادتها، وعدم وجود أبحاث سابقة، وعدم لياقة الباحث في التحدّث عن تجربة الإمام، وظروف الوقت، وصعوبة السيطرة على البحث، نظرًا لغياب منهج علميّ سابقٍ تطرّق إلى هذا النمط من الأبحاث، التي تخلط المجال التجريبيّ الزمنيّ بالبعد الروحيّ للفرد.

ومن ناحيةٍ أخرى، طرح أسلوب الإمام إشكاليّات عدّة، فلم يقدّم نفسه كمفكّرٍ نظريٍّ وفلسفيٍّ، بل قدّم نموذجًا عمليًّا وواقعيًّا وتطبيقيًّا للرؤيا الإسلاميّة؛ إذ لم يجد الوقت الكافي لطرح الخلفيّة الفلسفيّة التي انطلق منها بشكل منظّم.

لا تستطيع محاولتنا أن تقدّم أدلّةً ملموسةً وحتميّةً ومباشرةً، بل تدرس الخطاب والتجربة، وتحاول أن تقدّم فهمًا يربط بين خيوطهما، لتخرج بمقاربةٍ لهذه الشخصيّة فكرًا، وتجربةً، في زاوية محدّدة، هي اجتماع شكليْ المعرفة لديها: الروحيّ والزمنيّ، وتأثير كلّ منهما على الآخر، وعلى التجربة الفرديّة للإمام.

اخترنا الإمام الخميني كنموذج لتظهير قضيّة العلاقة بين المعرفة الزمنيّة والروحيّة، كونه مرجعيّةً فقهيّةً وأخلاقيّةً وعمليّةً. وعاش تجربةً نقيّةً وزاهدةً، وتجربةً زمنيّةً موثّقةً بشكل كبير جدًّا، غنيّةً على المستوى الزمنيّ، ونتجت عنها إنجازات تاريخيّة، فثمّة علماء كُثر في التاريخ الشيعيّ، كان لديهم تجربة في المعرفة الزمنيّة، لكنّها تفتقر إلى مميّزات التجربة الخمينيّة، في مجال الاتّساع والعمق والتأثير والامتداد الزمنيّ ومدى الانشغال. وقد اهتمّ الفكر الإسلاميّ بإثبات الحقيقة، وثبات المعرفة،

ولـم تُـدرَس المشـكلة المعرفيّـة الناشـئة فـي الانشـغال الزمنـيّ، والمتمثّلـة فـي تداخـل الحقائـق، وترابطهـا، وتأثيرهـا علـى بعضهـا البعـض، وعلـى العمـل الإنسـانيّ المعرفـيّ لكشـف العلاقـات فيمـا بينهـا، بمـا يؤهّـل للاسـتفادة منهـا فـي واقعـه المعـاش بتسـخير الكـون لمـا يفيـده. فظـلّ المعنـى الفلسـفيّ للحقيقـة نظريًّـا، بعيـدًا عـن الواقـع وحركـة العقـل فـي الحيـاة وذلـك نظـرًا لطبيعـة دائـرة اهتمـام الفلسـفة الإسـلاميّة والعقـل الدينيّ.

منهج البحث

يتجـزّأ البحـث إلـى قسـمَين رئيسَـين، الأوّل وصفـيّ، يسـتعرض التجربـة المعرفيّـة الزمنيّـة عنـد الإمـام، ويحلّـل منهجهـا، إلـى جانـب اسـتعراضه فـي رؤيـا عامّـة لمنهـج السـير التكاملـيّ الروحـيّ الهـادف إلـى تحقيـق المعرفـة الحضوريّـة الحقيقيّـة، فـي فكـر الإمـام. أمّـا القسـم الثانـي، فيدخـل فـي معالجـة إشـكاليّة العلاقـة بيـن المعرفتَيـن، فـي مقدّمـة تأسيسـيّة لبُنيـة الجدليّـة، علـى المسـتويَين الفلسـفيّ والمنهجـيّ، وفـي مقاربـة تفصيليّـة تبيّـن العلاقـات الداخليّـة للجدليّـة.

سـار البحـث علـى خطـوط منهجيّـة عـدّة: فـالأوّل وصفـيٌّ يعتمـد عـرض نظريّـة المعرفـة الزمنيّـة ومناقشـتها، لينطلـق فـي اسـتعراضٍ اسـتقرائيٍّ لتجربـة الإمـام مـن خـلال دراسـة خطابـه. أمّـا الثانـي أخلاقـيٌّ يتنـاول بالتحليـل منهـج السـير التكاملـيّ عنـد الإمـام، والثالـث تحليلـيٌّ يُسـبر غـور العلاقـة التفاعليّـة الجدليّـة بيـن المعرفتَيـن.

يسـتند ربـط المنهـج النظـريّ بالمنهـج الاسـتقرائيّ إلـى انطبـاق أقـوال الإمـام علـى أفعالـه، هـذا الانطبـاق الـذي أكّـد عليـه الإسـلام، والـذي يتحقّـق مـن خـلال التقـوى والرقابـة الذاتيّـة. ونلمـس فـي كلمـات الإمـام مـدى رقابتـه علـى معرفتـه، وتجربتـه الزمنيّـة، وتقديمـه مراجعـات، ونقـدًا ذاتيًّـا لهـا مـن علـى المنبـر، يسـاعده فـي ذلـك موقعـه الاجتماعـيّ والتاريخـيّ، وكذلـك يتحقّـق مـن خـلال نصّـه الروحانـيّ الأخلاقـيّ سـواءً فـي دروسـه، أو خطاباتـه، أو رسـائله، أو كتبـه الـذي يعكـس لنـا تلـك التقـوى والرقابـة الذاتيّـة. ومـن ناحية أخـرى، زهـده والتفاتـه إلـى الأحـكام الشـرعيّة بدقّـة متناهيـة، مـا يبيّـن لنـا أنّ شـخصيّة الإمـام كانـت شـخصيّةً ملتزمـةً إلـى حـدٍّ بعيـدٍ جـدًّا، وتتميّـز بهـذا الالتـزام بيـن النظـر

والعمل، وبين النصّ والتطبيق، في دقّتها العالية عن القرناء المعاصرين. ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ شخصيّة الإمام تميّزت بالانطلاق من الفكر الدينيّ والاستناد عليه، لوضع الأطر النظريّة والعمليّة للتطبيق؛ إذ حرَّك الفكر الدينيّ خارج أطره التقليديّة، وحوَّلَه إلى موجّه لحركة المجتمع في كلّ أبعاده، من خلال نظرة شاملة إلى النصّ والالتزام به بشكل كامل ودقيق. وهذا ما يحيلنا إلى القول بأنّ تجربة الإمام ارتكزت إلى مبدأ ضرورة الانطباق بين النظر والعمل، في مقابل تجارب عدّة أخرى، أعطت العمل بُعدًا محدودًا، أو تجارب غير أصيلة إسلاميًّا، بتفاوت النِّسب أعطت العمل المساحة الأوسع من دون الارتكاز إلى الفكر. وبناءً على ما تقدّم، يمكن لنا أن نرسم رؤيا لمنهج البحث، مستندةً إلى تجربة الإمام ونصوصه في آنٍ واحدٍ.

يؤدّي دمج هذه المناهج بنا إلى منظومة تستند إلى توحيد المعرفة عند الإمام، وفي الوقت عينه حيث تفسّر نظريّته التوحيديّة، فإنّها تشكل منظومةً معرفيّةً حديثةً في النظر إلى المعارف الزمنيّة ضمن رؤيا توحيديّة. في حين أنّ فصل المعارف يضيّق زاوية الرؤيا، وإمكانيّات الربط والتفسير، والبعد الواقعيّ في النظر إلى الأمور، فإنّ ربط المناهج لا يلغي تمايزها والطابع التخصصيّ والعلميّ الخاصّ بكلّ منها، بل هو محاولةٌ لتواصلٍ تكامليٍّ بينها.

إنّ اعتماد الإمام في المعرفة الدنيويّة على المشاهدة والتجربة المباشرة، جعله يدرك موضوع تلك المعرفة بشكل واقعيٍّ، يحدّد ارتباطه بالمراتب الوجوديّة الأخرى، وارتباط المعرفة به بالمعارف الأخرى، انطلاقًا من مقولة العلم والعمل، والمنظور الذي نعالج من خلاله متعدّد الاختصاصات في المعرفة، لأنّ الإمام كان متعدّد الاختصاصات والاهتمامات. يحتوي الموضوع الذي نعالجه على اختصاصات متعدّدة مندمجة في بعضها. وإنّ دمج العلوم هو عمليّة بناء علاقة إيجابيّة بين النتائج العلميّة المتناقضة التي تقدّمها الاختصاصات المختلفة. وتنتج عن الدمج معرفة جديدة مضافة إلى الاختصاصات السابقة، فدمج العلوم يطوّرها.

تهدف هذه المنظومة المعرفيّة المستندة إلى تعدّد المناهج ودمجها وتفاعلها مع بعضها البعض، إلى إنتاج رؤيا معمّقة للتجربة المعرفيّة عند الإمام في العلوم الدنيويّة. هذه الرؤيا المعمّقة تبيّن لنا الجدليّة التفاعليّة بين المعرفة الزمنيّة والروحيّة

عنـد الإمـام. فتحتـاج قـراءة ظاهـرة الإمـام الخمينـيّ إلـى تعـدّد مناهـج وزوايـا النظـر، بسـبب تعـدّد أبعـاد شـخصيّته، وتداخلهـا لحظـة التجربـة مـع بعضهـا البعـض.

يعتبر أحد قراملكي أنّ هذه خاصّيّة عامّة للبحث الدينيّ؛ إذ:

> تمتـدّ جـذور الظواهـر الدينيّـة فـي مجـالاتٍ شـتّى، وتتّصـل عبـر أواصـر متبادلـة بعناصـر متنوّعـة نفسـيّة وكيانـات اجتماعيّـة مختلفـة، وعلـى مسـتوى البنـاء التحتـيّ لحضـارة الإنسـان. الأمـر الـذي يـدلّ علـى أنّ للظاهـرة الدينيّـة جوانـب متعـدّدة، ومسـتويات مختلفـة[1].

ويرى في رؤيا نقديّة:

> يـؤدّي تجاهـل الاتجّـاه البيتخصصـيّ فـي معالجـة مسـائل هـذا الحقـل المعرفـيّ وقـراءة الظواهـر الدينيّـة، إلـى اكتشـاف جانـبٍ مـن الحقيقـة، وبُعـدٍ واحـدٍ مـن الظاهـرة، فيمـا يعنـي الجهـل بسـوى ذلـك مـن الأبعـاد، أن يكـون المـرء عرضـةً للوقـوع فـي فـخّ الاختزاليّـة[2].

---

١ أحد فرامرز قراملكي، **مناهج البحث في الدراسات الدينيّة** (بيروت: معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٤)، الصفحة ٣٩٤.

٢ قراملكي، **مناهج البحث**، الصفحة ٣٩٥.